

٢

سَاءُ نِسَاءٍ

خَلِيجَةُ بَذَتْ خَوْنِيلًا

﴿الجزء الثاني﴾

خَيْرُ نِسَاءِ الْجَنَّةِ

بقلم : ا. وجيه يعقوب السيد

بريشة : ا. عبد الشافي سيد

إشراف : ا. حمدي مصطفى

لِكَلِمَةِ الْوَالِدِ الْوَالِدِ الْوَالِدِ الْوَالِدِ الْوَالِدِ

ما إن بلغ محمد ﷺ الأربعين ، حتى أَلَفَ الخلوة ، فكان يذهب إلى غار حراء يتعبد ويتأمل في عجائب الكون ، وكانت زوجته (خديجة) تهیی له الأجواء المناسبة لذلك ، فكانت تحوطه بالرعاية والهدوء وهو في البيت ، فإذا انطلق إلى غار حراء ، دعت له بالخير ، وظلت عيناها عليه من بعيد ، ولا تكتفي بذلك بل كانت ترسل خلف زوجها من يحرسه ويرعاه ، وكانت تخرج بنفسها إليه ومعها غذاؤه وما يحتاج إليه .

وفي يوم سعيد ، نزل الوحي على محمد ﷺ ، ولم يكن هذا الحدث سهلاً على نفسه ، فقد عاد إلى بيته خائفاً ، وظل قلبه يرتجف ، وأسرعت (خديجة) نحوه ، تهدئ من روعه وتقول له :

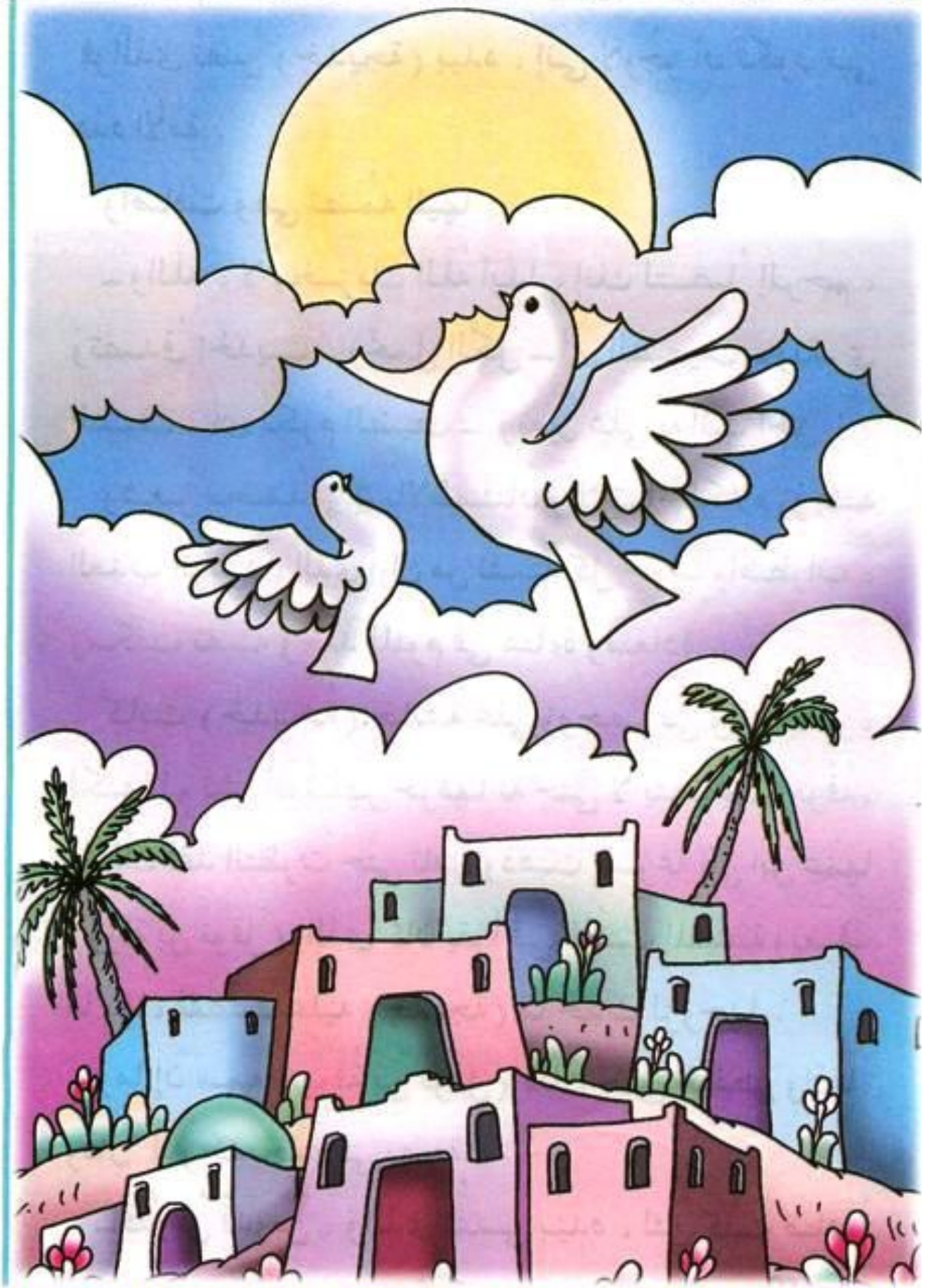
- ما بك يا محمد ؟ هل أصابك مكروه ؟

فقص عليها النبي ﷺ ما حدث ومخاطبة الملك له ثم قال :

- لقد خشيت على نفسي !

لكن (خديجة) قالت في يقين واطمئنان :

- الله يرعانا يا (أبا القاسم) ، أبشريا بن عم واثبت ،



فَوَالَّذِي نَفْسُ (خديجة) بيده ، إِنِّي لأرجو أن تكون نبىً
هذه الأمة .

وأضافت وهى تضمه إليها :

- والله ، لا يُخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ،
وتصدق الحديث ، وتحمل الكل - أى الضعيف - وتقرى
الضعيف - أى تُكرم الضيف - وتعين على نوائب الحق !
وشعر محمد ﷺ بالاطمئنان والارتياح لكلام زوجته
العذب الودود ، الذى أزال من نفسه كل خوف واضطراب ،
وسكنت نفسه وخلد للنوم فى هناءة وسعادة .

كانت (خديجة) خائفة على زوجها فى واقع الأمر ،
لكنها لم تشأ أن تظهر خوفها له حتى لا يتضاعف خوفه ،
ولذلك فقد انتظرت حتى نام ، وذهبت مسرعة إلى ابن عمها
(ورقة بن نوفل) الذى كان يقرأ فى الكتب المقدسة ويعرف
ما بها ، فقصت عليه (خديجة) ما حدث لزوجها .

وما إن سمع (ورقة بن نوفل) ذلك حتى انتفض واقفاً ،
وقال لـ (خديجة) فى بهجة :

- قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ ، والذى نفسى بيده ، لئن كنت صادقاً



فيما أخبرتنى به يا (خديجة) ، فإن زوجك قد نزل عليه
الوحي الذى كان يأتى موسى ، وإنه لنبي هذه الأمة .

فقلت (خديجة) :

- أجل ، إني صادقة ورب الكعبة .

فقال لها (ورقة) :

- اذهبي إلى زوجك وبشريه ، وقولى له : فليثبت !

ولم تتمالك (خديجة) نفسها من السعادة ، فرجعت
إلى رسول الله ﷺ وأخبرته بما قاله ابن عمها (ورقة بن
نوفل) .

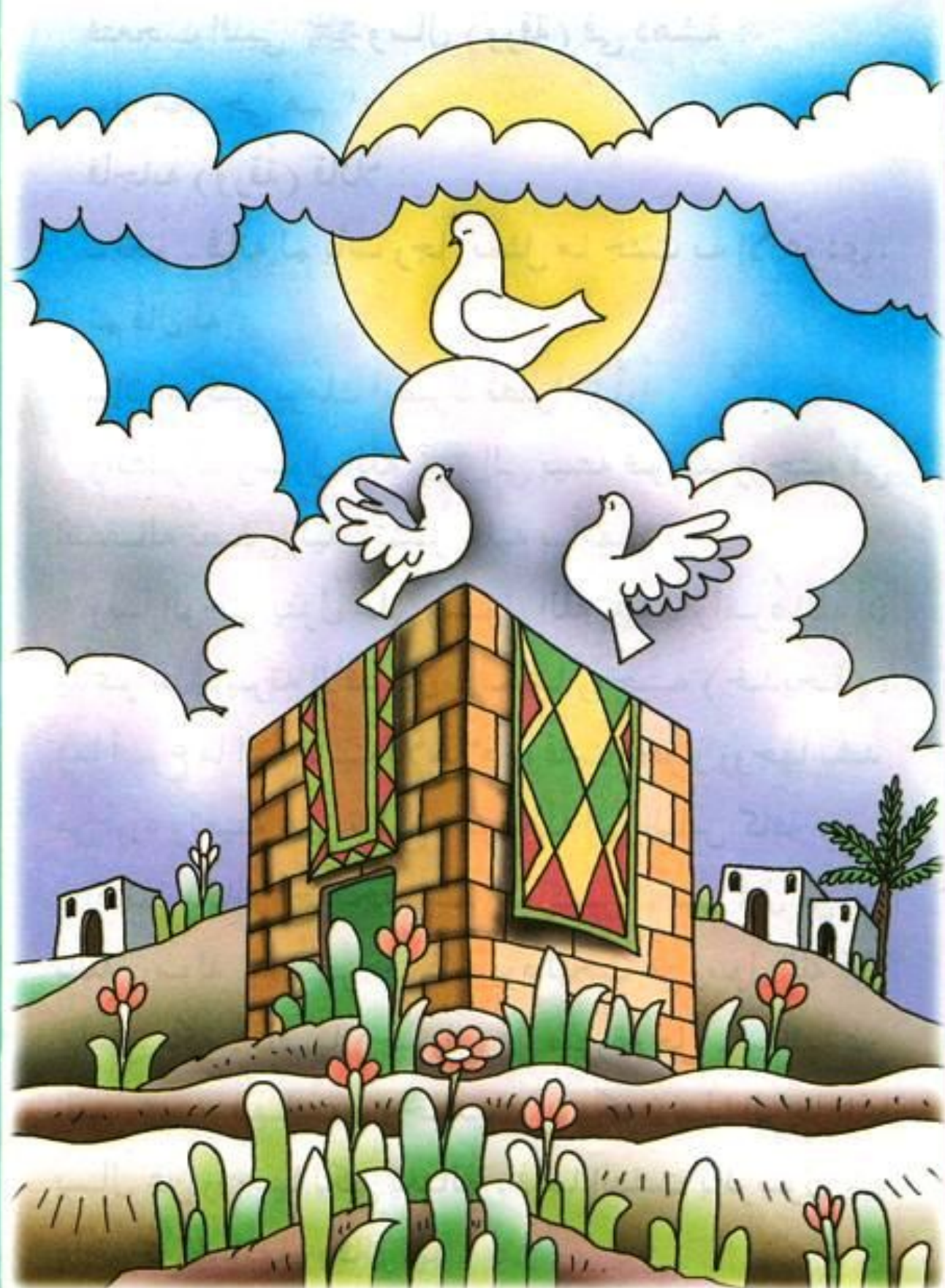
وخرج الرسول ﷺ يطوف بالكعبة تعبيراً عن شكره لله ،
فلقيه هناك (ورقة بن نوفل) ، فحياه وسأله :

- يا بن أخى ، أخبرنى بما رأيت وسمعت .

فأخبره الرسول ﷺ بخبر ما رأى وسمع ، فقال له
(ورقة) :

- هذا الناموس - أى الوحي - الذى نزل على موسى

عليه السلام ، يا ليتنى أكون حياً إذ يكذبك قومك ويؤذونك
ويخرجونك .



فتعجبَ النبي ﷺ وسأل (ورقة) في دهشة :

- أو مُخرجيَّ هم ؟

فأجابهُ (ورقة) قائلاً :

- نعم . فإنه لم يأت رجلٌ بمِثْلِ ما جئتَ به إلا عُودِي .

ثمَّ قال له :

- إن أدركني يومُك أنصركَ نصرًا مؤزراً .

وانصرف رسولُ الله ﷺ إلى بيتِهِ فوجدَ زوجته في

استقبالهِ تُصغِي إليه وتُشيرُ عليه برأيها .

وبدأ الوحيُ ينزلُ على رسولِ الله ﷺ ، وأمرهُ الله أن

يدعوَ عشيرتهُ الأقربين ، فدعاَ زوجته (خديجة) ،

وما أسرعَ ما استجابت للإسلام ووقفت بجوار زوجها تشدُّ

من أزرِهِ وتُعينُهُ على تبليغِ دعوةِ الله إلى الناسِ كافةً .

كانت مكانةُ (خديجة) عند الله كبيرةً ، فهي أولُ من آمنَ

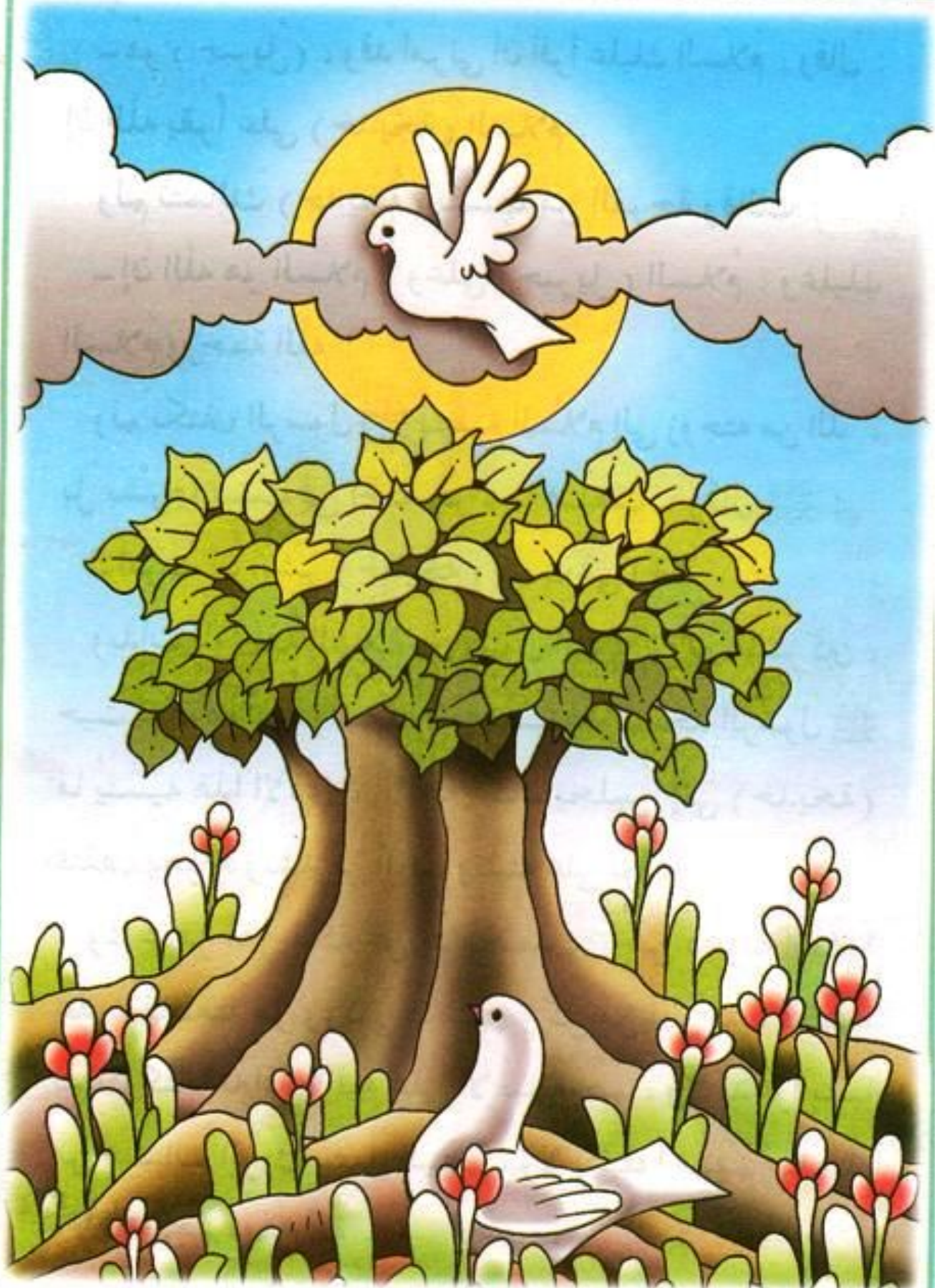
بالله ورسوله ، فقد خرجت ذات يومٍ تبحثُ عن رسولِ الله ﷺ

بأعلى مكة ، فلقيها (جبريل) في صورة رجلٍ ، فسألها عن

النبي ﷺ ، فهابته ، وخشيت أن يكونَ هذا الرجلُ إنما

يسألُ عن زوجها لكي يغتاله ، فلما التقت بالرسول ﷺ

وأخبرته طمأنها ، وقال لها :



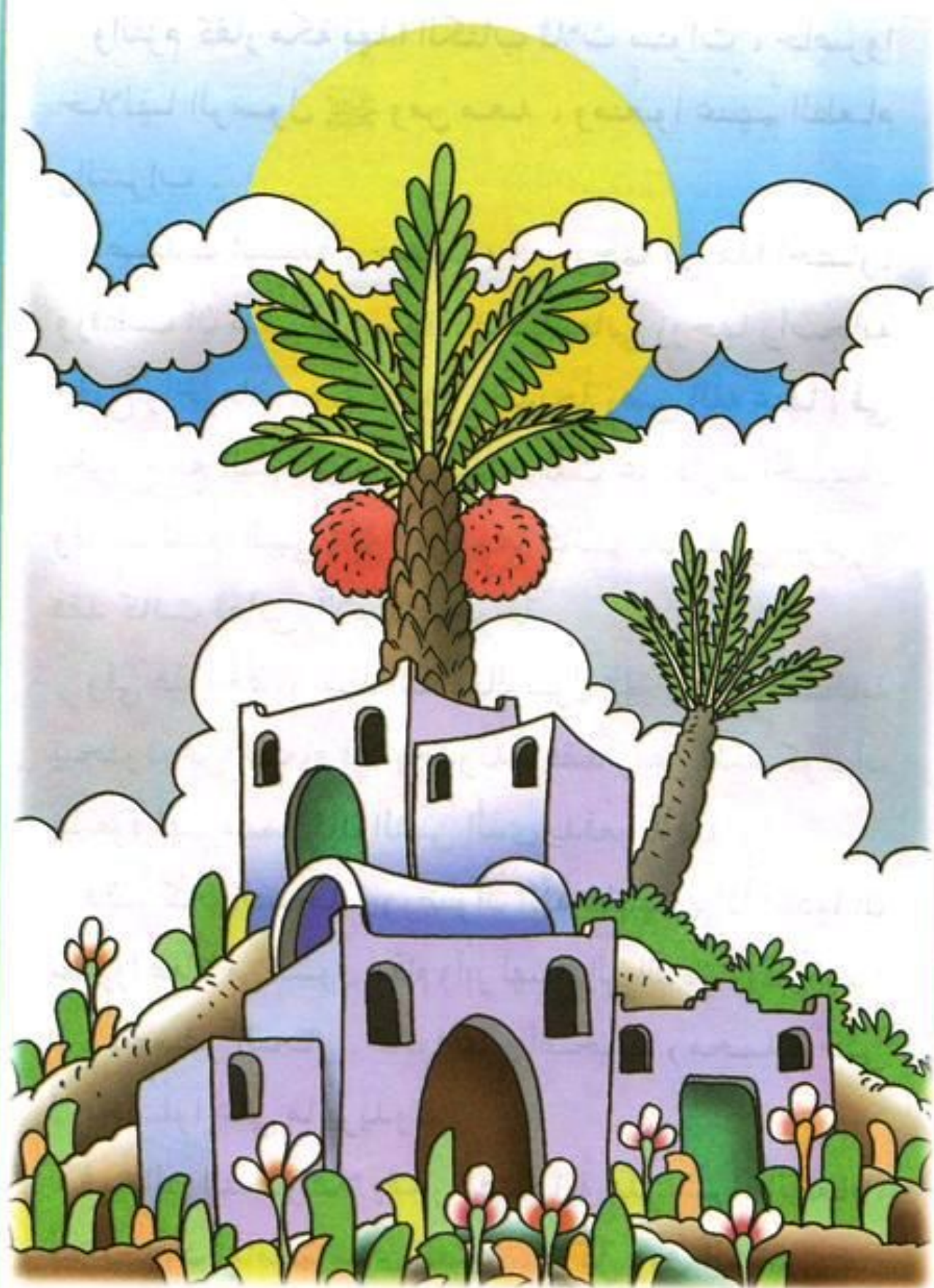
- هو (جبريل) ، وقد أمرني أن أقرأ عليك السلام ، وقال :
 إِنَّ اللَّهَ يَقْرَأُ عَلَى (خديجة) السلام .

ولم تتمالك (خديجة) نفسها من الفرحة وقالت :
 - إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلامُ ، وعلى (جبريل) السَّلامُ ، وعليك
 السَّلامُ ورحمةُ اللَّهِ !

ولم يكتفِ الرسولُ ﷺ بتبليغِ السَّلامِ إلى زوجته من اللَّهِ ،
 بل بشرها ببَيْتٍ في الجنةِ جزاءَ ما صنعتُ ، وقال ﷺ :
 - أُمِرْتُ أَنْ أَبْشُرَ (خديجة) ببَيْتٍ في الجنةِ .

وبدأت المواجهة الصعبةُ بين رسولِ اللَّهِ ﷺ وبين المشركين ،
 حيثُ كَذَّبُوهُ وآذَوْهُ وَأَسْمَعُوهُ مَا يُغْضِبُهُ ، ولم يجدِ الرسولُ ﷺ
 ما يُنْسِيهِ هَذَا الْأَذَى ، إِلَّا حِينَ كَانَ يَجْلِسُ إِلَى (خديجة)
 فَتَقِفُ بِجِوَارِهِ وَتَشْدُ مِنْ أَزْرِهِ ، وَتُثَبِّتَهُ عَلَى مَوْقِفِهِ .

ولما عجز أهلُ مَكَّةَ عَنْ رَدِّ مُحَمَّدٍ ﷺ عَنْ دَعْوَتِهِ اتَّفَقُوا
 عَلَى مُقَاتَلَتِهِ هُوَ وَ(بنى هاشم) وَكُلٌّ مِنْ آمَنَ بِهِ ، فَكَتَبُوا
 بِذَلِكَ كِتَابًا تَعَاقَدُوا فِيهِ عَلَى الْأَيَّامِ أَنْ لَا يَدْعُوا سَبَابًا
 مِنْ أَسْبَابِ الرِّزْقِ يَصِلُ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يَقْبَلُوا مِنْهُمْ صَلَاحًا ،
 وَلَا تَأْخُذَهُمْ بِهِمْ رَافَةٌ .



والتزم كفار مكة بهذا الكتاب ثلاث سنوات ، حاصروا خلالها الرسول ﷺ ومن معه ، ومنعوا عنهم الطعام والشراب .

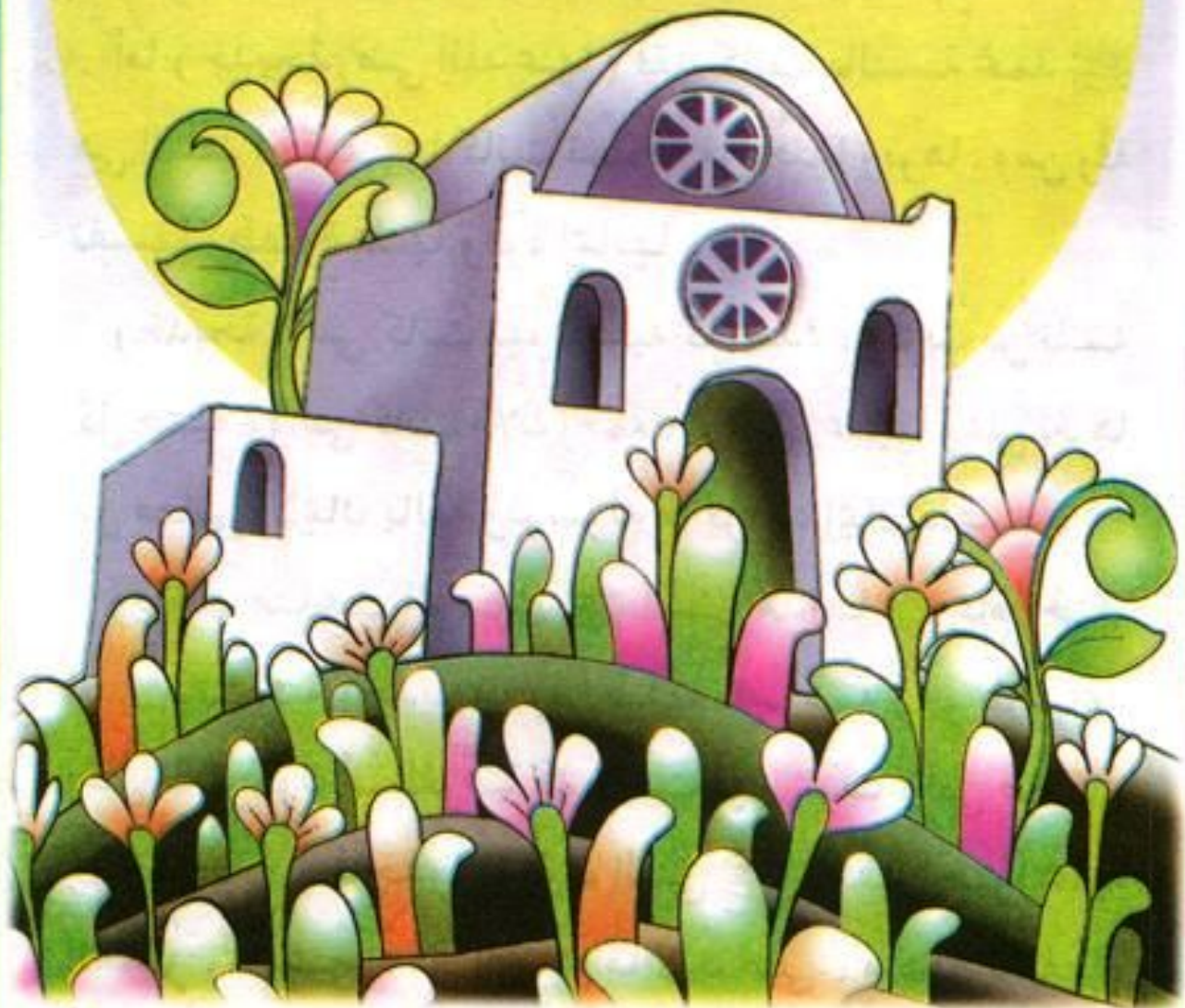
وصمدت السيدة (خديجة) مع زوجها في هذا الحصار ، ورفضت أن تبقى في بيتها ، بينما يعاني زوجها وأصحابه الجوع والحرمان ، ولم تتردد (خديجة رضي الله عنها) في الخروج مع النبي ﷺ ، وهكذا تخلت عن دارها الحبيبة ، وقامت تتبع النبي ﷺ ، برغم ما كانت تعانيه من مرض ، فقد كانت تعاني آلام الشيخوخة .

وفي هذا الحصار اشتد البلاء بالرسول ﷺ ، وكان الصحابة يبحثون عن الطعام فلا يجدونه ، فقد رفض المشركون أن يبيعوه لهم مهما كان الثمن الذي يدفعونه فيه .

فقد كان الصحابة (رضوان الله عليهم) إذا أرادوا أن يشتروا طعاماً من السوق ، قام (أبو لهب) إلى التجار ، وقال لهم : - يامعشر التجار ، غالوا على أصحاب (محمد) حتى لا يحصلوا على ما يريدون .

فيغالي التجار فلا يقدر الصحابة على شراء الطعام ، فلا يجدون أمامهم سوى الصبر ، وأكل ورق الشجر .

وبقيت (خديجة رضى الله عنها) فى الحصار ، صابرة مع زوجها النبى ﷺ ، ومحملة لهذا الحصار الظالم الذى أنهك قواها ، ولم ترجع إلى بيتها إلا بعد أن تهاوى هذا الحصار أمام ذلك الإيمان الصادق ، وكانت طوال زمن الحصار نعم الزوجة الصابرة المحتسبة ، التى احتملت فوق طاقتها ، فقد كان عمرها قد قارب الخامسة والستين .



وبعد أن رجع محمد ﷺ من الشعب بعد أن انتهى الحصار الظالم ، لم تمض إلا شهور قليلة حتى أصابته في عام واحد فاجعتان ، كل واحدة أكبر من الأخرى ، فقد مات عمه (أبو طالب) ومن بعده زوجته (خديجة) ، فتأثر رسول الله ﷺ لموتهما تأثراً شديداً .

فقد كان عمه (أبو طالب) السند الذي يحميه من أذى قريش ، وكان المشركون يعملون له ألف حساب .
أما (خديجة رضي الله عنها) فقد كانت بالنسبة لمحمد ﷺ هي السند الحقيقي بما كانت تمنحه من حبها وبرها ، ومن رقة نفسها وطهارة قلبها وقوة إيمانها .

(خديجة) التي كانت تهون عليه كل شدة ، وتزيل من نفسه كل خشية ، والتي كانت ملاك رحمة ، يرى في عينيها وعلى ثغرها من معاني الإيمان بالله وبرسوله ما يزيده إيماناً بنفسه .

وبلغت متاعب الرسول ﷺ أقسى مداها في عام الحزن الذي مات فيه (خديجة) ومن قبلها مات عمه (أبو طالب) ، وظن المشركون أن الفرصة قد لاحت لهم بموت (أبي طالب) و(خديجة) ، فأخذوا يؤذون النبي ﷺ ، فقد اجتراً عليه الكفار ، فأسمعوه من الكلام ما لا يرضى ، وكان السفهاء

منهم عندما يجدونه في الطريق يرْمُونَ الترابَ على رأسه ،
 وكانت ابنته (فاطمة) كلما رأت ذلك مسحتُ عنه الترابَ
 وهي تبكي ، فيقولُ لها :
 - لا تبكي يا بُنية ! فَإِنَّ اللَّهَ مانعُ أباك .
 ثمَّ كان يرددُ قوله :
 - واللَّهِ ما نالتُ مني قُرَيْشٌ شيئاً أكرهه حتَّى ماتَ
 (أبو طالب) !



وظل الرسول ﷺ وفيًا لذكرى زوجته ، فكان لا يذبح شاة إلا ويأمر بإرسال بعضها إلى أصدقاء (خديجة) ، ويقول : - أرسلوا إلى أصدقاء (خديجة) ، إني لأحب حبیبها . لقد كانت السيدة (خديجة) ملء حياة النبي ﷺ وهي حية ، وكذلك كانت لا تغيب عن باله بعد أن ماتت ، حتى قالت عنها السيدة (عائشة) : - كانت (خديجة) عند رسول الله ﷺ كأن لم يكن في الدنيا امرأة سواها !

وحقًا ، لم يكن في حياة النبي ﷺ امرأة استطاعت أن تأسو جراحه ، وأن تهیی له الأجواء المناسبة للدعوة ، مثلما كانت السيدة (خديجة بنت خويلد رضي الله عنها) . ويكفي أن الرسول ﷺ قال أكثر من مرة : - خير نساها - أي الجنة - (خديجة بنت خويلد) ، وخير نساها (مريم بنت عمران) . [رواه البخاري]

(تمت)

الكتاب القادم
سودة بنت زمعة

رقم الإيداع : ٢٠٠١/١٩٣٥